

نسخة الكترونية

الشيخ علي حسن غلوم

سِرٌّ

البقرة الحمراء

لماذا يبحث اليهود عن
البقرة الحمراء؟

ما علاقة ذبحها بإعادة
بناء هيكل سليمان؟

لماذا وصفها القرآن
بالبقرة الصفراء؟

رحلة البحث عن سرّ
البقرة الحمراء، وارتباط
ذبحها بإعادة بناء هيكل
سليمان، تبدأ شرارتها
من القرآن الكريم عند
الآية 67 من سورة
البقرة...

ومن هذا المنطلق،
وُلدت فصول هذا الكتاب.

الشيخ علي حسن غلوم

مِنَ الْقُرْآنِ، تَنْبَثِقُ قِصَّةُ بَقْرَةٍ صَفْرَاءَ، جَاءَ
 الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ صَرِيحاً بِذَبْحِهَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبِّحُوا بِقَرَّةٍ﴾. وَلَكِنْ؛ لِمَذَا؟
 مَتَى وَقَعَ ذَلِكَ وَأَيْنَ؟ وَكَيْفَ كَانَ لِهَذَا الذَّبْحِ
 أَنْ يَحَقِّقَ الْغَايَةَ الْمَنْشُودَةَ؟ هَذَا الْغَمُوضُ الَّذِي
 يَكْتَنِفُ تَفَاصِيلَ الْقِصَّةِ دَفَعَنِي لِلْغُوصِ فِي
 نَصُوصِ التَّوْرَةِ بِحَثٍّ عَنْ إِجَابَاتٍ، لَعَلِّي أُمِيطَ
 اللَّثَامُ عَنْ بَعْضِ الْمُسْتَوْرِ؛ فَإِذَا بِي أَصْطَدِمُ
 بِرَوَايَةٍ مَغَايِرَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ بَقْرَةٍ «حَمْرَاءَ»، فِي
 مَفَارِقَةٍ وَاضِحَةٍ مَعَ الْوَصْفِ الْقُرْآنِيِّ الْجَلِيِّ:
 ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ﴾!

بيد أنّ القصة لم تُطَوّ في صفحات الماضي العتيق؛ فالبحت اليوم محموم -شرقاً وغرباً- عن بقرة تحمل ذات الصفات التي وُصفت بها تلك التي ذبحوها قديماً.. وما كادوا يفعلون.

فما السرّ الخفي وراء هذا البحث الدؤوب؟ وما علاقته بمخطّط هدم المسجد الأقصى وإعادة بناء «الهيكل الثالث» في بيت المقدس؟ هذا ما سنستجليه من خلال تفكيك نصوص التلمود البابلي العتيقة، ومبرهنين بالدليل القاطع على أنّ الوصف القرآني للبقرة بـ «الصفراء» كان هو الوصف الأدقّ.

القصة في القرآن

مِنْ بَيْنَ مَا تَجَلَّى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ سِيرَةِ
النَّبِيِّ مُوسَى «عَلَيْهِ السَّلَام»، تَبَرَّزُ أَحْدَاثُ
قِصَّةِ الْبَقْرَةِ الصَّفْرَاءِ وَالْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ بِذَبْحِهَا:
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تَذْبَحُوا بَقَرَةً...﴾ (٦٧) [سورة البقرة]، وَلَمْ تَرِدِ
الْإِشَارَةُ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا فِي
هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَخْصُوصِ.

تَكْتَفُ الْقِصَّةُ هَالَةً مِنْ الْغَمُوضِ فِيمَا
يَخْصُ تَحْدِيدَ زَمَانِهَا، وَمَكَانِهَا، وَالظُّرُوفِ
الْمُحِيطَةِ بِهَا. وَمِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى الْبَاحِثِ

الحصيف، ما يشوبُ الكثير من الروايات وأقوالِ المفسّرين حولها من ضعف، وتضارب، وتخرّص بالغيب.

لذا، سنعمد -بعد استعراض الآيات القرآنية- إلى التوراة؛ بحثاً عما يمكن أن يملأ هذه الفراغات المعرفية ويجيب عن بعض التساؤلات. فالقرآن الكريم يُحيلنا أحياناً إلى ما بيد أهل الكتاب من مصادر لغرض المقارنة، أو التصويب، أو لإقامة الحجّة عليهم؛ مما يشي بأنّ جزءاً مما في أيديهم لم تطله يد التحريف ويمكن الركون إليه، وذلك من

قبيل قوله «تعالى»: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة آل عمران]، وقوله: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة المائدة].

وعليه، سنعقد مقارنات بين تفاصيل السرديتين لاستجلاء نقاط الالتقاء والاختلاف. لننتقل بعدها إلى مصادر أخرى نكشف من خلالها علاقة ما سبق بما أُثير في

السنوات الأخيرة حول بحث اليهود المحموم
عن بقرة [حمراء]، إيداناً بهدم المسجد الأقصى
والشروع في إعادة بناء هيكلهم الثالث.

تبدأ أحداث القصة في القرآن الكريم
بأمرٍ إلهيٍّ صريحٍ بذبح بقرة.. ولكن لماذا؟
هل يرتبط الأمر بتشريع يخصّ النذور، أو
القرايين، أو الكفارات، أو الزكاة؟ أم أنّ لهذا
الأمر متعلّقاً آخر؟

هنا تبرز مقاربتان لفهم النص:

المقاربة الأولى:

أنّ الأمر ليس في سياق تشريع عام، بل جاء

لغاية محدّدة؛ وهي فكّ لُغزِ جريمةِ قتلٍ غامضة
والكشف عن مرتكبها: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا
فَإِدَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

ومما يؤيد هذا الفهم استنكارُهم للأمر بقولهم:
﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾؛ فقد اعتاد بنو إسرائيل على
تلقي الأوامر التشريعية والتأديبية، فلماذا
استهجنوا هذه المرّة تكليفهم بذبح بقرة؟
التفسير المنطقي أنّ الأمرَ بالذبح قد جاء في
سياق حدثٍ استثنائيٍّ، وهو اكتشاف القاتل

المجهول؛ والأمرُ يبعث على الغرابة بالفعل:
فما علاقة ذبح بقرة باكتشاف القاتل؟

بناءً على هذا الاحتمال، يكون السرد القرآني
قد اعتمد أسلوب «التقديم والتأخير»؛ فبدأ
بوسط القصة، ثم عاد إلى بدايتها، ليقفز أخيراً
إلى مآلاتها. وهو ما أشار إليه الطباطبائي في
(تفسير الميزان) بقوله: «ثم إنه أخرج فصلاً
منها من وسطها، وقدم أولاً، ووضع صدر
القصة وذيلها ثانياً». [ج ١، ص ١٩٩]

ووفقاً لهذا السيناريو، يُعاد ترتيب الأحداث
كالتالي:

وقعت جريمة قتل في أوساط بني إسرائيل،
وأخذت الأطراف المشتبه بها تتدافع التهمة
﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾. وفي خضمّ ذلك، كان هناك
مَن يكتّم الحقيقة؛ سواء أ كان هو القاتل
نفسه، أم شهوداً، أم مَن يمتلك معلومات
تساهم في حلّ القضية ولكنه آثر الصمت
تعصّباً لعشيرته أو خوفاً من الجاني.

ولما عجز القوم عن حل اللغز، أراد الله
«سبحانه» كشف الجاني وفضح كتمانهم
﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، فأمرهم
بذبح بقرة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴿٢٠١﴾. أثار هذا الأمر
 حفيظتهم وتعجبهم، فظنوا أنّ نبيهم يستهزئ
 بهم ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾. يُعَلِّقُ العلامة
 الطباطبائي: «وزعموا أنّ نبيهم موسى مثلهم،
 يتهوّس كتهوّسهم، ويلعب كلعبهم، فرموه
 بالاستهزاء والسّفه والجهالة حتى ردّ عليهم:
 ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾».

[ج ١، ص ٢٠١]

وبعد اقتناعهم بمجديّة الأمر، انهالت أسئلتهم.
 فهل كان ذلك محاولة للتهرّب عبر تعقيد
 المقدّمات؟ أم هو لجاجهم وعنادهم المعهود؟

أم لزعمهم أنّ لكلّ حكم دليلاً تفصيلاً وأنّ
المراد بقرة ذات شأن خاص؟ كلّ ذلك محتمل.
لذا ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾؛
فشدد الله عليهم حين اختاروا التشديد على
أنفسهم. وبدلاً من الاكتفاء بأيّ بقرة، ﴿قَالَ
إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ أي
ليست مُسنّة عاجزة عن الولادة ولا فتية لم
تلد قط، بل ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾. وكان حريّاً
بهم التوقّف هنا والمبادرة للتّنفيد ﴿فافْعَلُوا
مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٨).

لكنهم عادوا للمماطلة: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ

يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا»، فجاء الجواب: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شديدة الصفرة بحيث ﴿تَسُرُّ النََّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

ومع وضوح البيان، سألوا للمرة الثالثة: ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾، مقدّمين هذه المرة شبه اعتذار بقولهم: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾. وقد فسّر العلامة ابن عاشور في (التحرير والتنوير) هذا التلطف المتأخّر بأنّ للتكرار الثالث وقْعاً في النَّفس يورث السّامة، وأنّ تعليقهم المشيئة كان لتنشيط موسى ودفع

سأَمَ مراجعتهم، وإظهار حُسن المقصد تفادياً
لغضبه [ج ١، ص ٥٥٤].

وجاءهم الجواب بمزيد من التضييق
الذي استجلبوه بأسئلتهم: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي
الْحَرْثَ﴾، فهي غير مُجَهدة في أعمال الزراعة،
و ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مِنَ الْعُيُوبِ، و ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾
أي خالصة اللون لا يخالط صفرتها لونٌ آخر.
فلما ضاقت عليهم السبل ولم يجدوا مخرجاً
للسؤال ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧١).

وبعد الذبح، أمرهم الله بضرب جثمان
القتيل ببعض أجزائها ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ
بِبَعْضِهَا﴾، فعادت إليه الروح ونطق باسم
قاتله ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٢).

ويؤيد ما سبق عددٌ من الروايات التفسيرية
في كتب الإمامية وأهل السنّة، وذلك من قبيل
ما في «عيون أخبار الرضا» للشيخ الصدوق
بالإسناد عن البنزطي، قال: سمعت الرضا
«عليه السلام» يقول:

(إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ قَرَابَةَ لَهُ،

ثُمَّ أَخَذَهُ وَطَرَحَهُ عَلَى طَرِيقِ أَفْضَلِ سَبْطٍ مِنْ
أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ جَاءَ يَطْلُبُ بَدْمِهِ.

فَقَالُوا لِمُوسَى: إِنَّ سَبْطَ آلِ فُلَانٍ قَتَلُوا فُلَانًا،
فَأَخْبِرْ، مَنْ قَتَلَهُ؟

قَالَ: ائْتُونِي ببقرة!

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٦٧).

وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى بَقْرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ
شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾.

ولو أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى بَقْرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ
 شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا
 رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
 صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

ولو أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى بَقْرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ، وَلَكِنْ
 شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: ﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ
 يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن
 شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
 لَّا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ
 لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾.

فَطَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا عِنْدَ فِتْيٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

فقال: لا أبيعها إلا بِمِلءِ مِسْكٍ ذهباً.

فجاءوا إلى موسى وقالوا له ذلك. قال: اشتروها.
فاشتروها، وجاءوا بها، فأمر بذبحها، ثم أمر
أن يضربوا الميتَ بذنبِها، فلما فعلوا ذلك
حَيَّ المقتول، وقال: يا رسول الله، إنَّ ابنَ
عمِّي قَتَلَنِي، دونَ مَنْ ادَّعى عليه قَتْلِي.
فعلموا بذلك قاتله، فقال لرسول الله موسى
بعضُ أصحابه: إن هذه البقرة لها نبأ.

فقال: وما هو؟

قال: إنَّ فتًى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه،
وأنه اشترى بيعاً، فجاء إلى أبيه والأقاليد [أي

المفاتيح] تحت رأسه فكَرِهَ أن يوقِظَه فترك ذلك
البيع، فاستيقظ أبوه فأخبره، فقال: أحسنت،
خُذ هذه البقرة فهي لك عوضاً لما فاتك.

فقال له رسول الله موسى: انظر إلى البرّ ما
بَلَغَ بأهله) [ص ١٨٦ - ١٨٧].

ونقل الألوسي في «روح البيان» [ج ١، ٢٩٤]
أقوالاً أخرى في العضو المضروب به، إذ قيل:

١. بلسانها

٢. بأصغريها، والأصغران: القلب واللسان

٣. بفخذها اليمنى

٤. بذنبها

٥. بالغضروف

٦. بالعظم الذي يلي الغضروف

٧. بالبضعة التي بين الكتفين

٨. بالعَجَب، أي أصل الذَّنَب

٩. بعظمٍ مِنْ عظامها

واختلفوا أيضاً وقالوا أنَّ:

١. الضَّرْب كان على جِدِ القَتِيلِ قَبْلَ دَفْنِهِ.

٢. مكثوا في تَطَلُّبِ البقرة أربعين سنة.

٣. أُمرُوا بِطَلَبِ البقرة بينما لم تكن في

صُلْب ولا رَحِم، فوقع الضَّرْب على قبر المقتول.

٤. لَمَّا قام الميِّت قال: قتلني ابنُ أخي.

٥. قال المقتول: قتلني فلان وفلان -لابني عمّه- ثم سقط ميتاً، فأخذوا وقُتِلَا.

٦. حَلَفَ القاتِلُ بالله «تعالى» ما قتلته، فكذَّبَ بالحقِّ بعد معاينته.

المقاربة الثانية:

أنّه ليس ثمة تقديم وتأخير في السرد القرآني؛ بل نزل تشريع «ذبح البقرة» في عهد النبي موسى كفّارةً لخطاياهم، فاستهجنوه وماطلوا حتى استسلموا وذبحوها. ولم يكن هذا العناد سلوكاً مستغرباً، بل هو ديدنهم مع كلّ الآيات التي عاينوها، كطلبهم صنماً يعبدونه بعد

النجاة من فرعون ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا
إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وطلبهم
رؤية الله جهرة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ
لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾. [البقرة: ٥٥]

لذا، لا حاجة لربط استنكارهم ﴿أَتَتَّخِذُنَا
هُزُؤًا﴾ بوقوع جريمة قتل وقتئذٍ، بل هو نابع
من سوء أدبهم. وفي (الميزان): «وإنما قالوا ذلك
لفقدتهم روح الإطاعة والسمع، واستقرار
ملكة الاستكبار والعتوف فيهم». [ج ١، ص ٢٠١]
وبعد أن أتموا الذبح، أبلغوا أنهم متى ما
واجهوا مستقبلاً جريمة قتل مجهولة الفاعل

بعد استقرارهم في «أرض الميعاد»، فعليهم
ذبح بقرة بهذه الصفات للتكفير عن الخطيئة.
وفعلًا، وقعت الجريمة المذكورة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ
نَفْسًا﴾ في عهد لاحق بعد وفاة موسى، فطبّقوا
الطقوس المفروضة عليهم. وتّضح معالم هذا
الاحتمال بجلاء عند تفحص نصوص التوراة
والتلمود وسفر حزقيال.

القصة في الموروث اليهودي

نجد في التوراة إشارات تتقاطعُ بوضوح مع السردية القرآنية، وترتكز على مفتاحين: الأمر بذبح بقرة بمواصفات خاصة، وارتباط ذلك بجرائم القتل.

في سفر العدد من التوراة: (١) وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٢ «هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ قَائِلًا: كُلُّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقَرَةً حُمْرَاءَ صَحِيحَةً لَا عَيْبَ فِيهَا، وَلَمْ يَعْلُ عَلَيْهَا نِيرٌ.... ٩.... إِنَّهَا ذَبِيحَةٌ خَطِيئَةٍ. ١٠.... فَتَكُونُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلِلْغَرِيبِ

النَّازِلِ فِي وَسْطِهِمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً).

يُشَرِّعُ النَّصَّ هُنَا لِفَرِيضَةِ أَبَدِيَةٍ تَسْتَوْجِبُ
تَقْدِيمَ بَقْرَةٍ (حَمْرَاءَ)، صَحِيحَةٍ، لَمْ تُسْتَخْدَمْ
فِي الْحَرْثِ، كَكَفَّارَةٍ. وَتُذْبَحُ الْبَقْرَةُ، ثُمَّ تُحْرَقُ
بِالْكَامِلِ، وَيُحْفَظُ رِمَادُهَا لِيُخْلَطَ بِالْمَاءِ
وَيُسْتَخْدَمُ فِي طَقُوسِ التَّطَهَّرِ كَالْتَالِي:

(١) فَتُعْطُونَهَا لِأَلْعَازَارَ الْكَاهِنِ، فَتُخْرَجُ إِلَى
خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَتُذْبَحُ قُدَّامَهُ.

(٢) وَيَأْخُذُ أَلْعَازَارُ الْكَاهِنُ مِنْ دَمِهَا بِإِصْبَعِهِ
وَيَنْضِخُ مِنْ دَمِهَا إِلَى جِهَةِ وَجْهِ خِيَمَةِ
الاجْتِمَاعِ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

(٣) وَتُحْرَقُ الْبَقَرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. يُحْرَقُ جِلْدُهَا وَلَحْمُهَا وَدَمُهَا مَعَ فَرْثِهَا. [الفرث: فضلات الطعام الموجودة في البطن]

(٤) وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ خَشَبَ أَرْزٍ وَزُوفًا وَقِرْمِزًا وَيَطْرَحُهُنَّ فِي وَسْطِ حَرِيقِ الْبَقَرَةِ. [الزوف: نبات. والقرمز: صبغ مُستخرج من حشرة]

(٥) ثُمَّ يَغْسِلُ الْكَاهِنُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْمَحَلَّةَ. وَيَكُونُ الْكَاهِنُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ.

(٦) وَالَّذِي أَحْرَقَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ بِمَاءٍ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ.

(٧) وَيَجْمَعُ رَجُلٌ طَاهِرٌ رَمَادَ الْبَقَرَةِ وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ، فَتَكُونُ لِحِمَاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِفْظِ، مَاءٍ نَجَاسَةٍ. [أي يُحْفَظُ الرَّمَادُ جَافًا، وَلَكِنْ عِنْدَ اسْتِخْدَامِهِ يُخْلَطُ بَعْضُ مِنْهُ بِالمَاءِ لِيَرْحَضَ -يَغْسِلَ- بِهِ الْمُتَنَجِّسُ جَسَدَهُ. وَيُسَمَّى هَذَا المَاءُ مَاءَ نَجَاسَةٍ وَإِنْ كَانَ يُسْتَخْدَمُ لِلتَّطْهِيرِ]

(٨) وَالَّذِي جَمَعَ رَمَادَ الْبَقَرَةِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. [العدد، ١٩، ١-١٠]

في التلمود:

المشناه أو المشناة هي الشريعة الشفوية المروية

عن النبي موسى ضمن التراث اليهودي، وهي بمثابة السُّنة والأحاديث النبوية في الإسلام، وتُمثّل المتن والأساس الذي يعتمد عليه كتاب التلمود في شروحاته ومناقشاته وتعليقاته.

في كتاب «الطهارات» (טְהוֹרוֹת = Tohorot) من التلمود البابلي، نجد فصلاً خاصاً بأحكام هذه الكفارة يُسمى «باراه» (פָּרָה = Parah) أي «بقرة». يتضمّن هذا السّفر الشّروحات الفقهية الدقيقة لعمُر البقرة، ولونها، وخلوّها من العيوب، وتفاصيل الحرق والذبح، مع التّصريح القاطع بأنّ هذه الطقوس تخصّ

حالة ارتكاب خطيئة القتل؛ مما يقترب بنا خطوة إضافية نحو دلالة النصّ القرآني.

في سفر حزقيال:

يتحدّث النبي حزقيال (أوائل القرن السادس ق.م) في الإصحاح ٣٦ من سفره عن التّطهير برشّ الماء على عُصاة بني إسرائيل: (٢٥) وَأَرَشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أَطَهَّرُكُمْ).

رغم خلو النصّ من ذكر رماد البقرة صراحة، إلا أنّ شروحات الحاخامات تؤكّد ارتباطهما الوثيق. يقول الحاخام «مناحيم برود» في مقال

له بعنوان [نضح ماء طهور זריקת מים
טהורים] موضحاً: «بحسب تفسير راشي
وميتسودات دافيد، فإنّ المقصود هو نضح
ماء البقرة الحمراء» [www.chabad.il].
ومن هنا، يُقيم اليهود في كل عام ما يُعرف بـ
«سبت البقرة الحمراء»، يتلون فيه عبارات
حزقيال الخاصّة بالتطهير؛ وهو طقس يحمل
دلالات عقائدية وسياسية خطيرة ترتبط
بهذه الأقصى وتشيد الهيكل، وهو ما سنفرد
له مبحثاً خاصاً.

ومن خلال استقراء هذه النصوص، تتكشف

لنا ثلاثة أوجه رئيسة من الاختلاف - في
ظاهرها - بين السرد القرآني وما دوّنته
التوراة وكتب اليهود... فهل يمكننا تفكيك
هذا التعارض الظاهري، والوصول إلى حلقة
الوصل المفقودة بينها؟

الحقوق محفوظة للمصنف

أولاً: إشكالية اللون

يبرز اللون كأول أوجه الاختلاف بين السرديتين؛ فعلى الرغم من التطابق في الشروط الأساسية (خلوها من العيوب، وعدم تسخيرها في أعمال الحراثة)، يحدّد القرآن الكريم اللون «الأصفر»، بينما تصرّح التوراة المتداولة حالياً بأنها بقرة «حمراء».

بيد أن تتبع الأدلة والقرائن اللغوية والتاريخية يرجّح أنّ البقرة التي طُلبت ككفّارة كانت صفراء، توافقاً مع النص القرآني، وذلك من خلال:

١. طبخ العدس في سفر التكوين:

في قصّة النبي يعقوب مع أخيه عيسو، ورد:

(٢٩) وَطَبَخَ يَعْقُوبُ طَبِيخًا... ٣٠ فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هَذَا الْأَحْمَرِ لِأَنِّي قَدْ أَغْيَيْتُ». لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ «أَدُومَ»..... ٣٤ فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى) [التكوين ٢٥].

وبما أنّ طبخ العدس لا يكون أحمر قانيًا، بل يميل إلى الصُّفْرة، جاء في «تفسير الكتاب المقدس» أنّ المقصود هو: «عدس أحمر، أي أصفر يميل إلى الأحمرار» [st-takla.org].

وهذا يؤكّد أنّ الكلمة العبرية (דִּיטָא dīṭā إدوم) المستخدمة في النص لا تقتصر دلالتها على الأحمر.

وفي هذا السياق، ينقل المتخصّص في التاريخ اليهودي د. ميتشل فيرست ضمن مقال له بعنوان «أفكار حول لون أدوم في التنخ» عن كتاب «مصطلحات الألوان في العهد القديم» Colour Terms in the Old Testament للباحثة أثاليا برينر تأكيدها على غياب وجود جلد بقري بلون أحمر طبيعي، وأنّ مصطلح «الأحمر» في تلك الحقبة كان مظلة لغوية

تشمل البرتقالي والأصفر والوردي، مضيئةً
 أنّ العدس المطبوخ -المسمّى «أدوماه»-
 يتحوّل غالباً إلى لون أصفر أو بنيّ باهت.
 [jewishlink.news]

٢. ترجمة الحاخام سعديا:

ترجم الحاخام سعديا [سعيد] بن يوسف
 الفيومي (ت ٩٤٢م) التوراة إلى العربية قبل أكثر
 من ألف ومائة عام (وكتبها بحروف عبرية)،
 وقابل فيها كلمة (إدوم) بكلمة (صفراء):
 «وأنّ يأتوك ببقرة صفراء صحيحة....».

وفي تعليقاته، أيّد الحاخام اليميني يوسف

قافيه (ت٢٠٠٠م) صحّة هذا الوصف، باعتباره اللون الطبيعي للبقر.

تُثبت هذه المعطيات أنّ المصطلح العبري (פרה אדמה - باراه أدوماه) في تشريع ذبيحة البقرة ينسحب على اللون الأصفر لا الأحمر، ليتطابق تماماً مع البيان القرآني: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ﴾، وبذلك يرتفع وجه الاختلاف الأول.



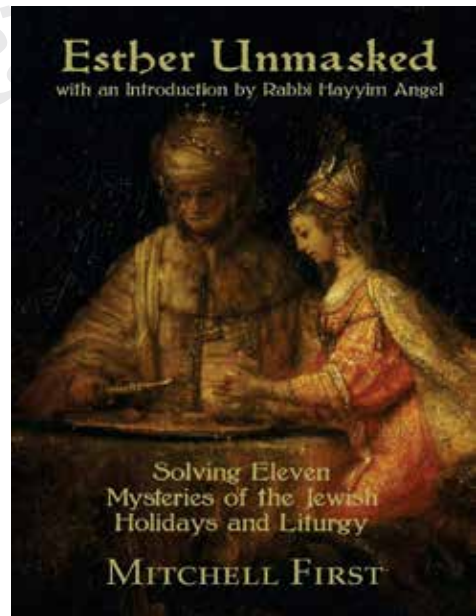
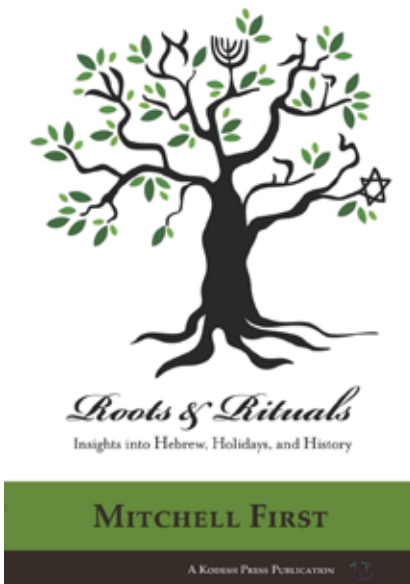
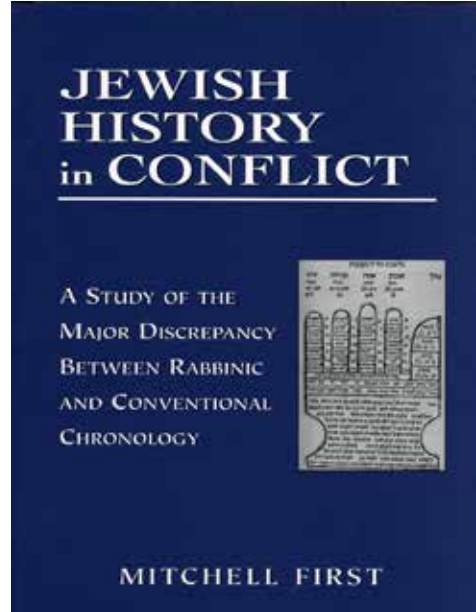
شوربة العدس صفراء



شوربة العدس صفراء



شوربة العدس برتقالية



د. میتشل فیرست وبعض مصنفاته

COLOUR TERMS IN THE OLD TESTAMENT

ATHALYA BRENNER

Journal for the Study of the Old Testament
Supplement Series, 21



Sheffield
1982

مصطلحات الألوان في العهد القديم



الحاخام يوسف قافيه

مَقْطَع Chapter 19

1 ثُمَّ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَآهْرُونَ تَكْلِيمًا: 2 هَذَا رَسْمُ الشَّرِيعَةِ،
الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا قَائِلًا، مُرُّ بَنِي إِسْرَئِيلَ، وَأَنْ يَأْتُوكَ بِبَقْرَةٍ صَفْرَاءَ
صَحِيحَةٍ، مَا لَيْسَ فِيهَا عَيْبٌ، مَا لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهَا نِيرٌ: 3 وَادْفَعُوهَا
لِلْعِزَّازِ الْإِمَامِ، وَيُخْرِجُهَا إِلَى خَارِجِ الْمُعْسَكِرِ، وَيَذْبَحُهَا بِحَضْرَتِهِ:
4 وَيَأْخُذُ مِنْ دَمِهَا بِإِصْبَعِهِ، وَيَنْضِجُ، مُقَابِلَ وَجْهِ خَبَاءِ الْمَحْضَرِ
مِنْهُ، سَبْعَ مَرَارٍ: 5 وَيَأْمُرُ بِإِحْرَاقِهَا بِحَضْرَتِهِ، مَعَ جِلْدِهَا وَلَحْمِهَا،
وَدَمِهَا وَفِرْثِهَا: 6 وَيَأْخُذُ عُودَ أَرْزٍ، وَزَعْتَرًا وَصُبْغَ قُرْمِزٍ، وَيَرْمِي ذَلِكَ
فِي وَسْطِ حَرِيقِهَا: 7 وَيَغْسُلُ هَذَا الْإِمَامُ ثِيَابَهُ، وَيَرَحُضُ بَدَنَهُ بِالْمَاءِ،
وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ إِلَى الْمُعْسَكِرِ، وَيَنْجَسُ إِلَى اللَّيْلِ: 8 وَمُحْرِقُهَا،

صورة عن ترجمة الحاخام سعديا الفيومي

ثانياً، تكفير أم تشريع عام؟

يتجلّى الوجه الثاني من أوجه الاختلاف في تحديد «المُسَبَّب» الموجب لهذه الكفارة؛ فهل شرّعت لتطهير بني إسرائيل من مطلق الخطايا، أم أنها خُصّصت لجريمة قتل مجهولة الفاعل؟ وهل نحن أمام تكفير خاص بحادثة مفردة وقعت في عهد النبي موسى «عليه السلام»، أم أنه تشريع عام وقانون ساريّ طبق كلما تكررت الجريمة ذاتها، سواء في عهده أو في مآل الأيام؟

لقد مرّ بنا آنفاً أنّ التلمود قد قيّد الخطيئة

المستوجبة لهذه الكفارة بـ «خطيئة القتل».

وما يعضد ذلك، ما صدح به سفر التثنية في التوراة، حيث نصّ على أنّه: (١) «إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ لِمَتَلِكِهَا وَاقِعًا فِي الْحَقْلِ، لَا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ، ٢ يَخْرُجُ شُيُوكُكَ وَقَضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ. ٣ فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنَ الْقَتِيلِ، يَأْخُذُ شُيُوكُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ لَمْ يُحَرِّثْ عَلَيْهَا، لَمْ تَجْرَ بِالنَّيْرِ. ٤ وَيَنْحَدِرُ شُيُوكُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِالْعِجْلَةِ إِلَى وَادٍ دَائِمِ السَّيْلَانِ لَمْ يُحَرِّثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ، وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ

العِجْلَةُ فِي الْوَادِي) [التثنية ٢١].

وهنا نقف أمام مسارين في الفهم:
 فإذا ذهبنا إلى أنّ هذا التشريع الوارد في سفر
 التثنية ما هو إلا تكرار وتأكيد لما جاء في
 سفر العدد، فإنّ ذلك يقتضي أنّ الخطيئة
 المُشار إليها في سفر العدد هي بخصوصها
 «جريمة القتل مجهولة الفاعل»، مع ربط
 تطبيقها المستقبلي باستقرار بني إسرائيل في
 الأرض الموعودة كما نصت العبارة: (الأَرْضُ
 الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لَتَمْتَلِكَهَا)؛ وهو
 وعدٌ لم يتسنَّ تحقيقه في عهد موسى.

أَمَّا إِذَا قَلْنَا بِتَغَايِرِ التَّشْرِيعِينَ، فَيَكُونُ
التَّشْرِيعُ الْمَذْكُورُ فِي سِفْرِ الْعَدَدِ مُنْصَبًّا عَلَى
التَّكْفِيرِ عَنْ خَطَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى وَجْهِ
الْعُمُومِ، بَيْنَمَا يَخْتَصُّ التَّشْرِيعُ الْمَذْكُورُ فِي سِفْرِ
التَّثْنِيَةِ بِجَرِيمَةِ الْقَتْلِ، وَهُوَ مَا يَتَوَافَقُ تَمَامًا مَعَ
مَا سَطَّرَتْهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَفِيهِ غُنْيَةٌ وَكَفَايَةٌ.

وَفِي سِيَاقِ تَفْكِيكِ هَذِهِ الرَّمُوزِ، يُشِيرُ تَفْسِيرُ
الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِبَيَانِ الْأَحْكَامِ الْوَارِدَةِ فِي سِفْرِ
التَّثْنِيَةِ، إِلَى ضَرُورَةِ انْتِدَابِ ثَلَاثَةِ مِنْ شِيُوخِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَقَضَاتِهِمْ لِقِيَاسِ الْمَسَافَةِ الْفَاصِلَةِ
بَيْنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي طُرِحَتْ فِيهِ الْجَثَّةُ وَبَيْنَ

المدن المتاخمة، بغية تحديد المدينة الأقرب التي يُفترض أنّ الجاني قد خرج منها.

عقب ذلك، يُلزم شيوخ تلك المدينة بذبح بقرة فتيّة، لم يسبق تطويعها في أعمال الزراعة أو الحرث أو السقي. وتتجلّى الرّمزية العميقة في هذه العملية في كونها محاكاة لعقوبة الإعدام التي كان حريّاً أن تُنفذ بحق القاتل المجهول. فاختيار بقرة بهذه الأوصاف المعطّلة عن العمل، يرمز إلى القاتل بوصفه فرداً عقيماً لا نفع فيه لمجتمعه، ولا يُرتجى منه عمل صالح، شأنه شأن تلك البقرة

التي لم تُستعمل قط في أعمال الحقل. كما يُشترط أن يُراق دمها في وادٍ ينساب فيه نبع ماء جارٍ، ولم تمسه أيدي الحارثين أو الزارعين. وتُطلّ برأسها هنا رمزية أخرى تتقاطع مع سابقتها؛ فالوادي البور يعكس حقيقة هذا القاتل العاقل عن الصلاح، بينما يرمز نبع الماء الجاري إلى تطهير الخطيئة وغسلها، واستنزال المغفرة لأهل المدينة.

وما إن تُذبح البقرة، حتى تُقام طقوس دقيقة تفصلها التوراة: (٥) ثُمَّ يَتَقَدَّمُ الْكَهَنَةُ بَنُو لَأَوِي.... ٦ وَيَغْسِلُ جَمِيعُ شُيُوخَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ

الْقَرِيبِينَ مِنَ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعِجْلَةِ
 الْمَكْسُورَةِ الْعُنُقِ فِي الْوَادِي، ٧ وَيُصَرِّحُونَ
 وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَ، وَأَعَيْنُنَا
 لَمْ تُبْصِرْ. ٨ اغْفِرْ لَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي
 فَدَيْتَ يَا رَبُّ، وَلَا تَجْعَلْ دَمَ بَرِيٍّ فِي وَسْطِ
 شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ. فَيُغْفَرُ لَهُمُ الدَّمُ. ٩ فَتَنْزَعُ
 الدَّمَ الْبَرِيَّ مِنْ وَسْطِكَ إِذَا عَمِلْتَ الصَّالِحَ
 فِي عَيْنِي الرَّبِّ) [سِفْر التثنية، ٢١].

وَيُبَيِّنُ تَفْسِيرَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنَّ طَقْسَ
 غَسْلِ الْأَيْدِي يُمَثِّلُ إِعْلَانًا بَلِيغًا يَعْبُرُ عَنْ
 بَرَاءَةِ الْغَاسِلِ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ، مُقْتَرِنًا بِإِقْرَارِ

جهوريّ يصدقون فيه بعدم توصلهم لمعرفة الجاني، وبراءة أعينهم من مشاهدة الجريمة إبان وقوعها. ثم يرفعون أكف الضراعة إلى الله منشدّين المغفرة، متوسلين ألا يُحملوا وزر دم سُفك ظلماً، ومذكّرين بأنهم الشعب الذي اصطفاه الرب وخلصه من نير عبودية فرعون.

وبتمام هذه الطقوس واستيفائها، يستجيب الرب لضراعة الشيوخ، ويسبغ مغفرته على شعبه، لثُبراً ساحة أهل المدينة من تُهمة سفك الدماء. [st-takla.org]

تشريعٌ عام وتفكيكٌ للإشكالية:

تأسيساً على ما سبق، يغدو جلياً أنّ التشريع المدوّن في سفر التثنية هو تشريعٌ عام وقانون مجتمعي، لا يرتبط بحادثة عينية بخصوصها، ولا يهدف إلى كشف الهوية الشخصية للجاني، ولا يعكس حدثاً وقع في زمان النبي موسى؛ بل هو إجراء كفّاري يرمي إلى تطهير المجتمع من التبعات الروحيّة لجرائم القتل الغامضة.

وهذا الفهم الدقيق هو المفتاح الذي يفسّر لنا السرّ الكامن وراء الترتيب

البدیع الذي تنتظم فيه الآيات القرآنية، وهو ما يرجح كفة «الاحتمال الثاني» الذي أشرنا إليه سلفاً؛ إذ استهلّت سورة البقرة آياتها بإرساء قواعد التشريع، ثم ثنّت بالحديث عن وقوع جريمة القتل. بمعنى أنّ التشريع الإلهي قد تنزّل أولاً في عهد موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، بينما لم تقع جريمة القتل إلا في عهد لاحق، تصديقاً لما نبّه عليه سفر التثنية. وعليه، فإنّ الارتباط بين الآية السابقة وبين قوله «تعالى»: ﴿وَإِذْ

قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَّارَآتُمْ فِيهَا ﴿﴾ ليس ارتباطاً
سببياً مباشراً في اللحظة الزمنية ذاتها.

ولإجلاء هذه الفكرة بشكل أعمق، نعيد
صياغة المشهد وفقاً للمنطوق القرآني
وتطبيقاته في النصوص الكتابية: لقد صدر
الأمر الإلهي بذبح البقرة في زمان النبي
موسى «عليه السلام» للتكفير عن الذنوب،
فماطل بنو إسرائيل، وشدّدوا على أنفسهم
حتى استجابوا في نهاية المطاف بشقّ الأنفس.
فأُحرقت جثة البقرة، وأُقيمت الطقوس
الشعائرية المطلوبة لتحقيق التكفير. إثر

ذلك، أُلْزِمَ بنو إسرائيل بجعل هذا التشريع قانوناً نافذاً، وطقساً يُعْمَلُ به بعد رحيل موسى، وتحديداً بعد استقرارهم في الأرض الموعودة، لِيُطَبَّقَ كلما فُجِعُوا بجريمة قتل لم يُعرف فاعلها.

ودارت عجلة الزمن، وتوفيَّ النبي موسى، واستقرَّ بنو إسرائيل في أرض كنعان تحت قيادة النبي يوشع بن نون. وهناك، وفي زمنٍ نجهله، وقعت جريمة قتل مجهولة الفاعل؛ وهي الحادثة التي خلّدها القرآن الكريم بإشارته: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾،

فما كان منهم إلا أن هرعوا لتطبيق الطقوس الكفارية الخاصة بذلك التشريع العام.

ووفقاً لهذه القراءة التحليلية المتأنية، ينتفي القول بوجود «تقديم وتأخير» في الآيات القرآنية؛ بل نحن أمام عرض متسلسل بالغ الدقة والانتظام.

فقد افْتُتِح السرد بذكر التشريع الذي أُسِّس في عهد موسى «عليه السلام»، وامثال القوم بعد المماثلة، لينتهي بذكر الجريمة التي وقعت بعد رحيله، وقيامهم بتنفيذ المطلوب وفق ذلك التشريع.

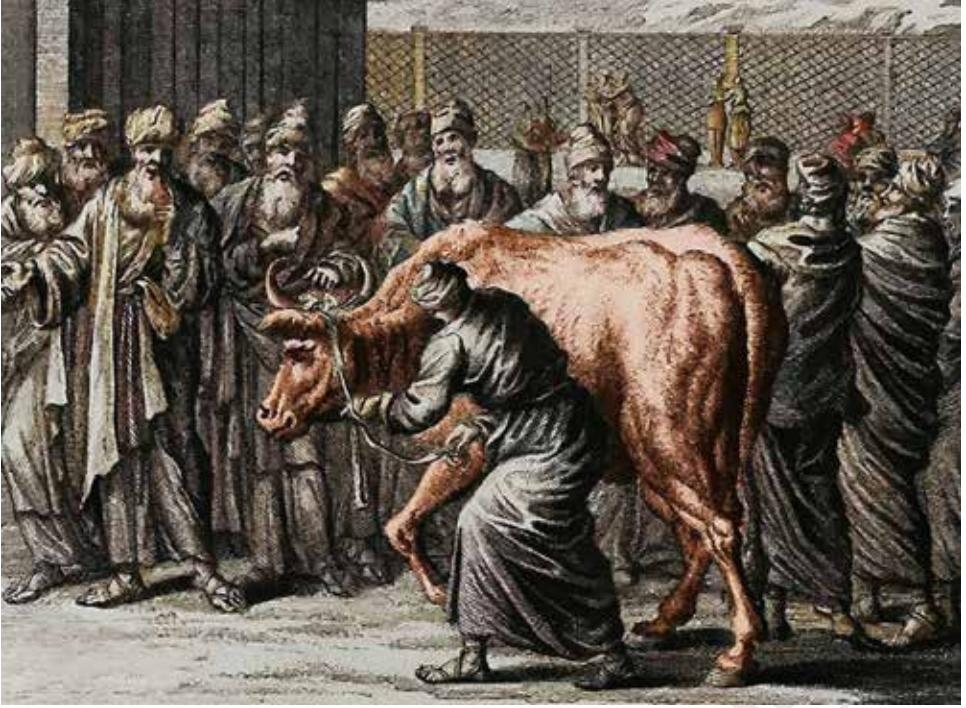
وهذا التفسير المنسجم يُميط اللثام عن سبب خلوّ التوراة من ذكر قصة «جريمة القتل» ضمن قصصها وأحداثها؛ فأسفار التوراة يُسدّل الستار عليها بوفاة النبي موسى، بينما وقعت الجريمة المذكورة بعد رحيله.

وبهذا الطرح المتناسك، يرتفع وجه الاختلاف الثاني من الأساس، ونتحرّر من الحاجة إلى القول بوقوع تحريف في النص التوراتي لسدّ هذه الفجوة، أو القول بأنّ القرآن الكريم جاء ليكشف هذا التحريف لبني إسرائيل. وهذا الاستنتاج

يخالف ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي في تفسيره، حيث برّر الترتيب القرآني بقوله: (قصة البقرة غير مذكورة في التوراة الموجودة عند اليهود اليوم، فكان من الحرّي أن لا يُخاطبوا بهذه القصة أصلاً، أو يُخاطبوا بها بعد بيان ما لعبت به أيديهم من التحريف، فأعرض عن خطابهم أولاً بتوجيه الخطاب إلى النبي [في إشارة منه إلى قوله «تعالى»: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾] ثم بعد تثبيت الأصل، عاد إلى ما جرى عليه الكلام من خطابهم المتسلسل

[أي قوله «تعالى»: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾] نعم
 في هذا المورد من التوراة حُكْمٌ لا يخلو عن
 دلالة ما على وقوع القصة) [ج ١، ص ٢٠٠].

الحقوق محفوظة للمصنف



لوحة تمثّل عملية فحص البقرة للتأكد من
مطابقتها للأوصاف المطلوبة تمهيداً لذبحها
وإقامة الطقوس



لوحة تمثّل ذبح البقرة الحمراء قبل حرقها



نبته الزوفا Hyssopus



حشرة القرمز Cochineal

ثالثاً: دلالات الضرب ببعضها

يتجلّى الوجه الثالث من أوجه الاختلاف بين ظاهر السرديتين القرآنيّة والتوراتيّة في «كيفية الاستفادة» من هذه الذبيحة عند وقوع جريمة قتل يقتربها مجهول، وفي الأثر المترتب على ذلك... وفي هذا المقام تبرز أقوال وتأويلات عدّة:

القول الأول، المقاربة الماديّة المباشرة:

ويقضي بضرب جسد المقتول ببعض أجزاء الذبيحة، فيُحيي الله الميت بقدرته، لينطق كاشفاً عن هوية جانيه. وعليه جرت الروايات

وذهب جمهور المفسّرين، وقد مرّ بنا شطر
من ذلك، وستطالعنا روايات أُخر في الفصل
الأخير من هذا الكتاب.

القول الثاني (المقاربة الرّدية والنفسية):

أنّ الطقوس المهيبة التي تعقب ذبح البقرة
هي التي ستُعين على كشف القاتل، من غير
أن تتخلّل ذلك معجزة إحياء حسّية للميت.
كأن يقع الرعب في قلب القاتل خشية
حلول غضب الله فيعترف بذنبه، أو تظهر
عليه إمارات الخوف والاضطراب فينفضح
أمره، أو أن يكون إمضاء هذه الشعيرة

رادعاً لمن تسول له نفسه مستقبلاً اقتراف
 مثل هذه الجريمة. وهو الاحتمال الذي ألمح
 إليه العلامة الطباطبائي حين قال: (فالمراد
 بإحياء الموتي: العثور بوسيلة تشريع هذا
 الحكم على دم المقتول، نظير ما ذكره «تعالى»
 بقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، من
 دون أن يكون هناك إحياء بنحو الإعجاز).
 غير أنه لم يرتض هذا التأويل، وعاد ليقرر أن
 سياق الآيات يشي بوقوع إحياء إعجازي، إذ
 يقول: (سياق الكلام، وخاصة قوله «تعالى»:
 ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ

الْمَوْتِ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٠٢﴾
 (يأبى ذلك). [الميزان، ج ١، ص ٢٠٢].

ومما يُؤخذ على هذين القولين أنهما لا ينطبقان على المنطوق الواضح لنصوص التوراة؛ التي تفيد بجلاء بأنّ المسألة متمحضة في التكفير، لا في استكشاف الجاني. ناهيك عن أنّ هذه الطقوس لا تختصّ بزمان النبي موسى فحسب، بل هي شريعة أبدية يُلزم اليهود بتطبيقها كلّما تكرّرت جريمة مشابهة؛ فهل من المستساغ عقلاً أن تتكرّر معجزة إحياء المقتول في كل زمان؟

القول الثالث (المقاربة الرمزية المجازية):

ومفادها أنّ الشطر الثاني من قصة البقرة في القرآن الكريم قد صيغ بلغة رمزية، مما يستدعي تأويلاً ينسجم مع هذا المجاز البياني. إلى هذا الرأي جنح الباحث «علي آغاي» (من أكاديمية برلين براندنبورغ للعلوم والإنسانيات) في ورقة بحثية وسَمَّها بـ [التناص القرآني مع التراث اليهودي الحاخامي: قضية البقرة في سورة البقرة الآيات ٦٧-٧٤]. حيث يرى أنّ الآيات لا تعالج وسيلةً لكشف قاتل مجهول، بل تتحدّث عن توظيف بقايا البقرة

المذبوحة لإعادة شخص «منفي» إلى أحضان مجتمعه الإسرائيلي، إثر ارتكابه خطيئة مسّ الميت ودخوله إلى المسكن [بيت العبادة] من دون التطهر من تلك النجاسة.

وبما أنّ عقوبة هذه الخطيئة هي «النفي»، فإنّ الباحث يرى أنّ عبارة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ تحاكي العبارة التوراتية: (١٣ كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيِّتَةً إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، يُنَجِّسْ مَسْكَنَ الرَّبِّ. فَتَقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ) [سفر العدد، ١٩]. وعليه، يكون «النفي» بمثابة قتل معنوي

للفرد، والخلاص من هذه العقوبة يستوجب ذبح البقرة بطقوسها الخاصة، وهو ما يوازي جملة: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. أمّا قوله ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ فيؤوّلها الباحث بـ: اغسلوا الرجل النجس المنفي برماد البقرة المحروقة بعد إضافته إلى الماء. وبهذه الطريقة، يجعل الله تطهير الشخص النجس وإعادته إلى المجتمع أمراً ممكناً، وهو ما يقابل قوله: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾

[static1.squarespace.com]

ورغم محاولات الباحث حشد المؤيدات

لتأويله هذا، إلا أنه يصطدم بجملة من الإشكالات العميقة، نذكر منها:

١. أن رفع اليد عن المعنى الحقيقي إلى المجازي لا يصح إلا بوجود قرينة تستدعي ذلك، ولا نملك -ضمن النص القرآني- قرينة يمكن الركون إليها لنصرف قوله ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ عن دلالة الحقيقية.

٢. أن قوله «تعالى»: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ يقرّر وقوع حدث خارجي بعينه، وليس في مقام افتراض وقوع ذلك، سواء أُخذ بالمعنى الحقيقي للقتل، أو المعنى

المجازي (الذي يعني النفي بحسب الباحث).

٣. أن جملة ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تتنافر كلياً مع تأويل الباحث الرامي إلى إخراج «المشاعر السلبية» من نفوس أبناء المجتمع الذي وقعت فيه الجريمة، والكشف عن الرغبة في تخليص الفرد من النفي! سيما وأنه قد أغفل تماماً دلالة قوله ﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ التي ترشد بوضوح إلى تدافع الأفراد ومحاولتهم التنصل من التهمة وتبرئة ساحتهم؛ فكيف يفهم هذا التدافع وفق السياق التأويلي الذي هندسه؟ ثم ما علاقة هذا التدافع

بنفي فرد من مجتمعه لنجاسته بمس الميت؟
ويُضاف إلى ذلك أنّ القرآن الكريم قد
استعمل كلمة «النفي» في مقابل «القتل»
صراحة في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ
يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ
خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ [سورة المائدة]، فلماذا لم يستعملها هنا
أيضاً لو كانت هي المرادة؟

٤. أنّ التوراة في سفر التثنية تربط صراحة

بين ذبح هذه البقرة وبين ارتكاب جريمة قتل يُجْهَل فيها الجاني.

القول الرابع (الضرب بمعنى النضح والرش): وهو القول بإمكانية تفسير جملة ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ بما دلّ على نَضْح دم البقرة المذبوحة سبع مرات، أو الغسل بالماء المخلوط برماد البقرة بعد حرقها (وهو ما عُبر عنه بـ «الرش» في سفر حزقيال). ونجد لمثل هذا الاستعمال اللغوي شواهد في بعض الروايات، ومن ذلك ما أورده الطوسي في كتاب (التهذيب) بالسند عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام»

قال: (قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تضربوا وجوهكم بالماء إذا توضّأتم، ولكن شنّوا الماء شنّاً) [ح ١٠٧٢].

يضاف إلى ذلك إشكالية الضمير؛ فالضمير في ﴿اضْرِبُوهُ﴾ مذكّر، بينما الآية التي تسبقها تتحدث عن (نفس) ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ وهي مؤنّثة، وقد أُتبع ذلك بضمير التأنيث ﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أي في النفس المقتولة، فكيف يعود الضمير المذكر في ﴿اضْرِبُوهُ﴾ إلى النفس؟ والذي أميل إليه هنا، أنّ الآيات القرآنية قد أوردت التشريع مقتضياً وبصورة إشارات

رمزية لا أكثر، بحيث لا يمكن سبر غورها بشكل سليم إلا بالرجوع إلى التشريعات الواردة عند أهل الكتاب. وعليه، يُحتمل أن يعود الضمير المذكور في ﴿اضْرِبُوهُ﴾ إلى (مُقَدَّرٍ) محذوف لا حاجة للتصريح به؛ لأن تفاصيل هذا التشريع لا تعني المسلمين، وما عند اليهود من تشريع بهذا الخصوص ينص على رشّ ذلك الماء واستعماله بطريقة معينة ووفق طقوس خاصة، وليس رشّه على المقتول ليعود إلى الحياة ويكشف هوية الجاني.

وتأسيساً على ذلك، يغدو قوله ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ

مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١﴾ تلويحاً بكشف حقيقة
 عنادهم ولجاجهم بعد كل التجارب التي مروا
 بها والآيات التي عاينوها؛ إذ قابلوا أمر الله
 بالذبح بالاستهجان والتردد والمماطلة. وهذه
 الغاية في فضح طويتهم المتنّطة والمعاندة،
 أهم وأجلّ من مجرد كشف هوية جانٍ في
 جريمة قتل فردية، وهذا هو المعنى الأعظم
 لإخراج ما كانوا يكتُمون.

القول الخامس (التكامل النصي):

مع الإصرار على إرجاع الضمير المذكور في
 ﴿اضْرِبُوهُ﴾ إلى (المقتول)، يمكن القول بأنّ

التشريع الوارد في التوراة وسفر حزقيال تشريع ناقص، فجاء القرآن الكريم لينبه على هذا القصور في النص؛ مبيناً أنّ الله أمرهم برش ذلك الماء على المقتول ذاته، ومن خلال تلك الطقوس [المقدسة] يتم اكتشاف القاتل؛ إما باعترافه الشخصي رعباً من نزول العذاب، أو باعتراف أحد الحاضرين عليه.

المختصرة:

من خلال تبني «القول الرابع»، يمكننا أن نرفع وجه الاختلاف الأخير بين السرديتين القرآنية والتوراتية بصورة كلية وجذرية.

أما بناءً على «القول الخامس»، فإن رفع وجه
الاختلاف بينهما يتحقّق بصورة جزئية.

الحقوق محفوظة للمصنف

حكمة التشريع وسرّ البقرة

لطالما وقف الحاخامات في حيرةٍ وتساؤلٍ عميقٍ أمام المنطق الكامن خلف هذه الشعيرة: كيف يمكن لهذه الطقوس أن تُجدي نفعاً في معالجة قضية قتلٍ اقترفها مُجرّمٌ مجهول الهوية؟ وكيف يتسنى لرماد هذا الحيوان المُضْحَى به أن يحمل النقيضين في آنٍ واحد؛ فيكون نجساً ومطهراً معاً... يُطهّر المتنجس من دنس الخطيئة والنجاسة، بينما يُنجّس المُطهّر الذي تولى إعدادَه؟

هذا الغموض المستغلق هو ما دفع المؤسسة

الخاصية إلى الإقرار بأنّ فريضة البقرة
 [الحمراء] تُعدّ من أعظم أسرار التوراة قاطبة.
 ومما يعضد هذه الرؤية ويؤكّدها، ما سَطَر في
 «المدرّاش» [تفسير التوراة] على لسان الملك
 الحكيم سليمان، حين صاح معترفاً بعجزه
 أمام هذا السر: (لقد نجحْتُ في فهم التوراة
 بأكملها، ولكنّ بمجرد وصولي إلى هذا
 الفصل عن البقرة الحمراء، بحثُ وفحصُ
 وتساءلُ وقلْتُ إنني سأحصل على الحكمة،
 لكنها كانت بعيدة عني) [sefaria.org].

وقد ذهب كلّ من التلمود البابلي والمدرّاش

إلى اعتبار الطقوس الخاصّة بذبح هذه البقرة،
 المثال الأبرز لذلك النوع من الفرائض التوراتية
 التي يتوجّب الامتثال لها والعمل بها «تعبداً»
 وتسليماً محضاً، دون محاولة إدراك مغزاها أو
 سبر غور آليتها. بل إنهم جزموا باستحالة فك
 شيفرتها حتى على أحكم العلماء وأكثرهم
 دراية؛ إلى درجة أنّ بعض الحاخامات يرى
 أنّ النبي موسى «عليه السلام» نفسه لم يُحط
 بكُنْهِها وحكمتها خُبْراً!

وعلى الرغم من هذا الغموض المطبق، فإنّ ثلّة
 من الحاخامات يميلون إلى الاعتقاد بوجود

ارتباط عضوي ووثيق بين فريضة البقرة
[الحمراء] وبين خطيئة «العجل الذهبي».
ومفاد هذا الرأي، أنّ هذه التشريعات إنّما
نزلت لتكون بمثابة كفارة تاريخية، تمحو
العواقب الوخيمة والتبعات الرهيبة التي
حاقّت ببني إسرائيل إثر اتخاذهم العجل
الذهبي معبوداً لهم عقب خروجهم من مصر.

إعجاز التناصّ

يكتنز القرآن الكريم بين طيّاته إشاراتٍ دقيقةً ورسائلَ خفيّةً موجّهةً لعلماء أهل الكتاب، تنهض كأدلة دامغة تؤكّد لهم سماويّة مصدره، وتقطع باليقين أن النبي محمداً «صلى الله عليه وآله» لم يأت بهذا الكتاب العظيم من تلقاء نفسه.

وقد لا تحمل هذه الإشارات بالنسبة إلينا -كمسلمين- دلالةً مغايرةً لما يتبادر إلى الذهن من ظاهر المعنى، بيّد أنّ الأمر يختلف جذرياً بالنسبة لعلماء أهل الكتاب؛ إذ تتخذ هذه

الإشارات في وعيهم أبعاداً أعمق ودلالاتٍ
أشدّ وقعاً.

ولعلّ من أبرز هذه الإشارات، ذلك التناص
البديع الذي ساقه القرآن الكريم في إطار
قصة البقرة، متقاطعاً مع ما ورد من تحذيرات
على لسان النبي حزقيال. وكما أشرنا في فصل
سابق، فإنّ سفر حزقيال قد تحدّث عن
طقوس التكفير المتمثلة برشّ الماء للتطهير،
لكنّه أردف ذلك مباشرة بوصف قلوب بني
إسرائيل التي استحالت إلى قسوة كالحجارة.
العجيب هنا أننا نجد هذا الترتيب البياني

ذاته حاضراً في القرآن الكريم؛ فبعد سرد قصة البقرة وجريمة القتل وما رافقها من أحداث، يعقّب الله «تعالى» بوصف قلوب بني إسرائيل بأنها قست حتى غدت كالْحِجَارَةِ أو أشدّ قسوة! فهل يُعقل أن يكون هذا التوافق الدقيق في تسلسل الأفكار مجرد صدفة؟

موضع الشاهد والتطابق:

لنتأمّل ما جاء في الإصحاح السادس والثلاثين من سفر حزقيال: (٢٢) «لِذَلِكَ فَقُلْ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَيْسَ لِأَجْلِكُمْ أَنَا صَانِعٌ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ،

بَلْ لِأَجْلِ اسْمِي الْقُدُّوسِ الَّذِي نَجَسْتُمُوهُ فِي
الْأُمَمِ حَيْثُ جِئْتُمْ..... ٢٥ وَأَرْشُ عَلَيْكُمْ مَاءً
طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ
أَصْنَامِكُمْ أَطَهَّرُكُمْ. ٢٦ وَأُعْطِيكُمْ قُلُوبًا
جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ،
وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ
قَلْبَ لَحْمٍ. ٢٧ وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ،
وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي، وَتَحْفَظُونَ
أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا).

وفي المقابل، نقرأ في سورة البقرة قوله
«عز وجل»: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ

يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ
ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا
لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

وكما بيّنتُ سلفاً، فإنّ عبارات سفر حزقيال
- وإن خلت من التصريح المباشر بأنّ الماء
المستعمل في التطهير هو عينه الماء الممزوج
برماد البقرة المحروقة- إلا أنّ الشروحات

اليهودية المعتمدة لهذا النص تؤكد وتُجمع على أن المراد به هو خصوص ذلك الماء.

وبذلك يكون نص سفر حزقيال قد أحدث ربطاً تلازمياً بين أمرين: الأول هو التطهير برش الماء الممزوج برماد البقرة، والثاني هو قسوة قلوب بني إسرائيل التي تحجرت. وهذا الربط هو ذاته ما نجده يتجلى بأبهى صورة، وبنفس الترتيب المتسلسل في الآيات القرآنية: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ (٧٤).

إنّها، بلا ريب، إشارة قرآنية واضحة
تستهدف عقول علماء أهل الكتاب، ليزداد
يقينهم بأنّ الذي أوحى بهذا القرآن هو ذاته
الذي أنزل التوراة وسائر الكتب السماوية
التي يؤمنون بها، ولتكون حجة دامغة تُقام
عليهم. وإلا، فأنيّ لهم أن يُفسّروا هذا الورود
المتكرّر لتفاصيل دقيقة في القرآن الكريم
تطابق ما خفي من شرائعهم ومضامين كتبهم؟
ومن هنا تتجلّى عظمة الخطاب الإلهي
لنبيّه حين يقول «تعالى»: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ

مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا
كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّنْ
رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ [سورة القصص].

ويتجلى كل هذا الإعجاز في وقت يعلم
فيه هؤلاء علم اليقين أنَّ محمداً «صلى الله
عليه وآله» كان نبياً أمياً؛ لم يكن يوماً من
أهل الكتاب، ولم يتلقَّ أيّاً من تعاليمهم أو
شروحهم، فضلاً عن كونه لم يكن يقرأ أو

يكتب. وهذا ما صرّحت به الآية الكريمة
 القاطعة لكل شك: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ
 مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ
 الْمُبْطِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت).

وهذا التشابك العميق بين الماضي العتيق
 والنصوص المقدسة، ينقلنا إلى تساؤل أخير
 ومُلِحّ: ما هي حكاية [سبت البقرة الحمراء]؟
 وما وجه الخطورة البالغة التي يمثلها هذا
 الطقس في عصرنا الراهن؟

سبت البقرة الحمراء

يُمثّل «سَبْتُ البقرة» (שַׁבַּת פָּרָה - سبت باراه) أو سبت البقرة [الحمراء]، أحد أبرز الطقوس اليهودية السنوية المُمهّدة لعيد الفصح. حيث يتخذ اليهود سبتاً يسبق العيد لإحياء ذكرى ذبيحة البقرة [الحمراء] المنصوص عليها في التوراة، واستحضاراً للطقوس والتشريعات التي دأب الكهنة واليهود على ممارستها بغية التطهير الروحي والجسدي.

ولا يستلزم إحياء هذه المناسبة السنوية

ذبح بقرة حمراء بالفعل، بل يُكتفى بالقيام
بحزمة من الطقوس الرمزية التي تجسّد
عملية تطهير النفس.

ويتباين تحديد موعد هذا السبت من سنة
إلى أخرى؛ نظراً لاعتماد التقويم العبري على
مزيج معقد من الأشهر القمرية والشمسية.
ففي سنة ٢٠٢٤م، على سبيل المثال، صادف
بدء عيد الفصح اليهودي غروب شمس يوم
الاثنين ٢٢ أبريل، بينما استُهلّ «سبت البقرة»
من غروب شمس يوم الجمعة ٢٩ مارس،
ليستمر حتى غروب السبت ٣٠ مارس.

وفي سنة ٢٠٢٥م، كان بدء عيد الفصح
بغروب شمس السبت ١٢ أبريل، في حين
بدأ سبت البقرة من غروب الجمعة ٢١
مارس حتى غروب السبت ٢٢ مارس.
أمّا في سنة ٢٠٢٦م، فقد حلّ عيد الفصح
ابتداءً من غروب الأربعاء ١ أبريل، ليكون
سبت البقرة ممتداً من غروب الجمعة ٦ مارس
إلى غروب السبت ٧ مارس.

وخلال هذا السبت المخصوص، تُجرى
مراسم إخراج مخطوطتين؛ تُخصّص الأولى
منهما لتلاوة الإصحاح التاسع عشر من

سِفر العدد، والذي يُفصّل تشريع ذبح البقرة وطقوسها، وكيفية تطهير المتنجّسين بالماء الممزوج برمادها بعد ذبحها وحرقها. وتُفرد المخطوطة الثانية لتلاوة الإصحاح السادس والثلاثين من سِفر حزقيال، المتضمن للآيات المتعلقة بالتطهير بالماء.

تتكرّر هذه الطقوس في ذات التوقيت من كل عام، قبيل أسابيع معدودة من عيد الفصح، لتُترجم التزام اليهود بتطهير أنفسهم قبل الشّروع في الحج إلى مدينة القدس وهيكل سليمان أو موضعه، والمشاركة في شعائر

العيد المقامة هناك [www.ou.org].

والهيكل هو بيت العبادة الذي شُيّد في عهد النبي سليمان على جبل موريا بالقدس، وتعرّض للهدم الأول إبان غزو نبوخذ نصر الثاني قبل نحو ستة قرون من ميلاد المسيح. وعقب عودة اليهود من السبي البابلي أُعيد بناؤه، ليهدمه الرومان مجدداً في العام ٧٠م. وتأخذ هذه الطقوس بُعداً سياسياً وعقائدياً بالغ الخطورة في عصرنا الراهن؛ ففي عام ١٩٦٧م، تنادت مجموعة من المؤسسات الصهيونية حول العالم لتأسيس حركة تضع

نصب عينها هدفاً استراتيجياً يتمثل في إعادة بناء «هيكل سليمان» على أنقاض المعالم الإسلامية في بيت المقدس، وفي مقدّماتها المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

وفي إطار التحضيرات الحثيثة لهذا المشروع، جرى تدريب أكثر من ٥٠٠ شاب يهودي ينحدرون من «سبط لاوي»، لتهيئتهم للعمل ككهنة في المعبد المُراد تشييده، وللإضطلاع بواجباتهم العبادية وتقديم القرابين. كما أُنجزت بالكامل حياكة الشياح الكهنوتية الخاصة التي سيُتوشحون بها لهذا الغرض.

بيد أنّ حجر الزاوية في مشروع إعادة
 بناء الهيكل يتمثّل -ابتداءً- في التضحية
 ببقرة [حمراء]، تتطابق حذو القذّة بالقذّة
 مع المواصفات التوراتية؛ من حيث السن،
 واشتراط عدم تسخيرها مسبقاً في أعمال
 الحرث والسقي، وغيرها من الشروط الدقيقة
 التي سلف ذكرها. وينبع هذا الاشتراط
 الصارم من عقيدةٍ راسخة مفادها أنّ ذبح
 هذه البقرة هو السبيل الأوحـد لتحقيق
 الطهارة للنفس اليهودية، واستعادة «النقاء
 التوراتي» الذي لا يكتمل دونه بناء الهيكل.

وبعد ذبح البقرة، يتحتّم إجراء الطقوس المنصوص عليها في التوراة بحذافيرها:

(٤) وَيَأْخُذُ أَلْعَازَارُ الْكَاهِنُ مِنْ دَمِهَا بِإِصْبَعِهِ وَيَنْضِجُ مِنْ دَمِهَا إِلَى جِهَةِ وَجْهِ خِيَمَةِ الاجْتِمَاعِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. ٥ وَتُحْرَقُ الْبَقَرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. يُحْرَقُ جِلْدُهَا وَلَحْمُهَا وَدَمُهَا مَعَ فَرْثِهَا.

٦ وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ خَشَبَ أَرْزٍ وَزُوفًا وَقِرْمِزًا وَيَطْرَحُهُنَّ فِي وَسْطِ حَرِيقِ الْبَقَرَةِ، ٧ ثُمَّ يَغْسِلُ الْكَاهِنُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْمَحَلَّةَ. وَيَكُونُ الْكَاهِنُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٨ وَالَّذِي أَحْرَقَهَا يَغْسِلُ

ثِيَابَهُ بِمَاءٍ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَيَكُونُ
 نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٩ وَيَجْمَعُ رَجُلٌ طَاهِرٌ رَمَادَ
 الْبَقَرَةِ وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ،
 فَتَكُونُ لِحَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِفْظِ، مَاءِ
 نَجَاسَةٍ. إِنَّهَا ذَبِيحَةٌ خَطِيئَةٍ. ١٠ وَالَّذِي جَمَعَ
 رَمَادَ الْبَقَرَةِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى
 الْمَسَاءِ) [سِيفِرُ الْعَدَدِ ١٩].

ووفقاً لـ «معهد الهيكل» (The Temple Institute) -وهو المنظمة المركزية المكرّسة
 للإعداد لبناء الهيكل الثالث في القدس- فإنّ
 مياه التطهير هذه تُعد شرطاً لازماً لا غنى

عنه لتطهير منطقة جبل الهيكل، والأواني المقدسة، والكهنة اللاويين قبيل ولوجهم ساحات الهيكل.

وقد سبق لمعهد الهيكل أن حدّد بقرتين كمرشّحتين محتملتين لتكون إحداهما هي الذبيحة الموعودة؛ اختيرت الأولى عام ١٩٩٧م، والثانية عام ٢٠٠٢م. غير أن الآمال تبددت لاحقاً حين تبين، في كلتا الحالتين، خلوّ البقرتين من التطابق التام مع الشروط الصارمة المبيّنة في التوراة والتلمود.

وأمام هذا العجز، لجأ مربّو الماشية من أتباع

«المسيحية الصهيونية» في ولاية تكساس الأمريكية إلى توظيف الهندسة الوراثية والاصطفاء الجيني، في مسعى دؤوب لإنتاج بقرة حمراء تجمع كافة المواصفات المطلوبة، ليُصار بعد ذلك إلى شحنها نحو بيت المقدس. وقد تصاعدت حدّة التوتر في عام ٢٠٢٤م، في خضمّ تداعيات أحداث «طوفان الأقصى» والحرب الصهيونية الطاحنة على غزة؛ إذ سرّت أنباء تفيد بأنّ القائمين على هذا المشروع قد نجحوا في جلب بقرة معدّلة جينياً إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة،

تمهيداً لذبحها قبيل عيد الفصح اليهودي. وقد أجبّت هذه التحرّكات مخاوف عميقة من شروع الكيان الصهيوني فعلياً في مخطط هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة. ومع ذلك، انقضى الموعد دون وقوع الذبح، وسط بروز تشكيكات علمية ودينية حول مدى اكتمال لون البقرة المُستولدة، وما إذا كانت تخلو يقيناً من أي شعرة ذات لون مغاير.

وتكمن الحقيقة التاريخية في أنّ العثور على مخلوق بهذه المواصفات الاستثنائية يُعد ضرباً من المحال، إلى حدّ أن الحرق الاحتفالي للبقرة

كان حدثاً بالغ النُدرة طوال التاريخ اليهودي. فالتلمود البابلي يُصرّح بعدم وقوع التضحية إلا بتسع بقرات حمراء فقط، امتداداً من عهد النبي موسى إبان وجود بيت العبادة (المسكن) في التيه، وصولاً إلى حقبة تدمير الهيكل الثاني عام ٧٠م.

وقد رسّخ الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون قناعة عقدية مفادها أنّ البقرة الحمراء العاشرة لن تظهر ولن يُضحّى بها، إلا حين يأزف موعد ظهور «المسيح المخلص». وهذا المعتقد هو ما يُذكي جذوة الترقّب لدى

قطاعات واسعة من اليهود والمسيحيين، الذين
ينتظرون هذا الحدث الاستثنائي كبشارة
وعلامه إمّا لانطلاق بناء الهيكل، أو إيذاناً
بظهور المسيح [messianicbible.com].

الحقوق محفوظة للمصنف

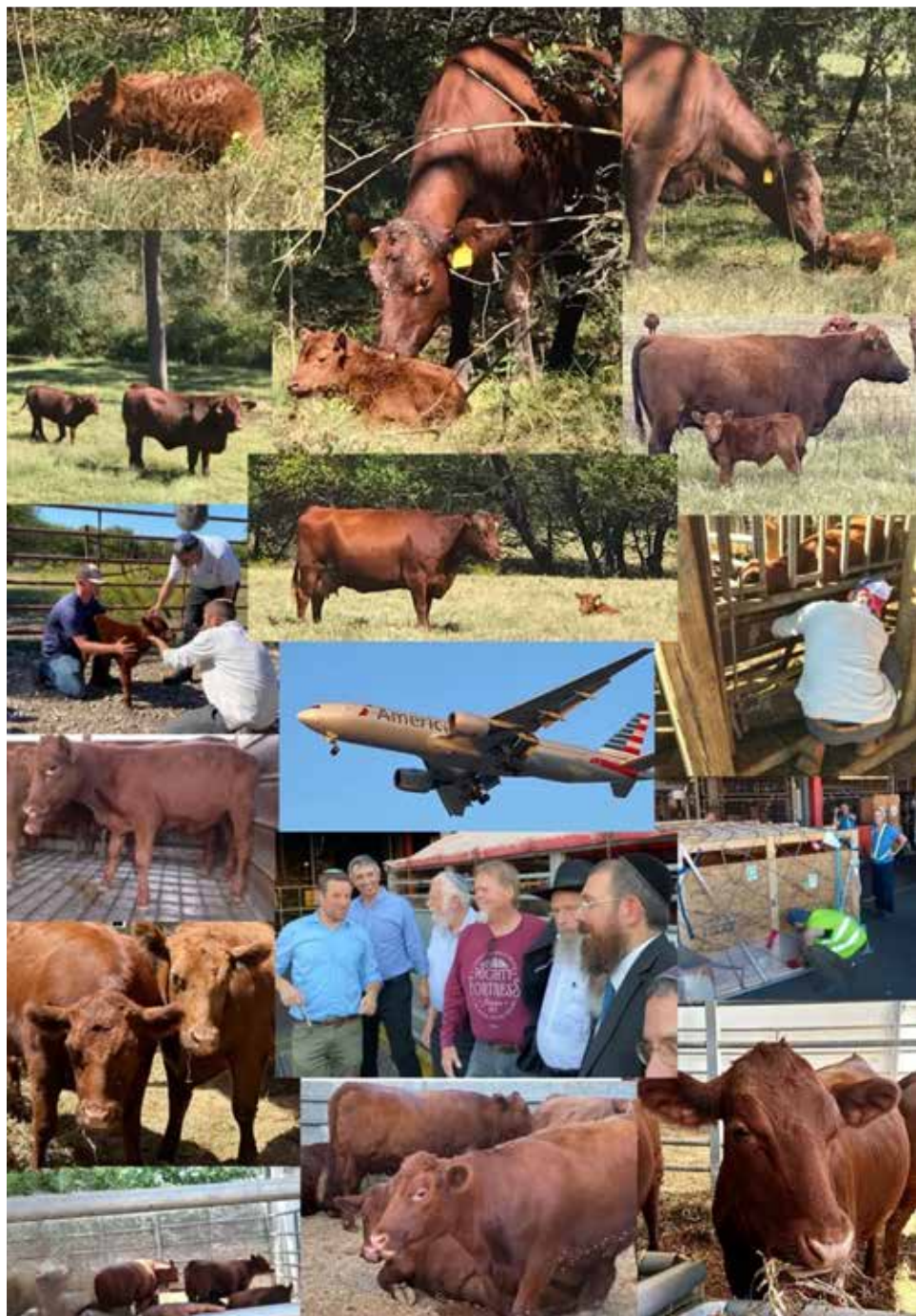


من مشاريع توليد البقرة الحمراء





فحص البقرة المرشّحة



في التراث الإسلامي

وإتماماً لجوهر البحث واستكمالاً لأبعاده،
ننتقل للوقوف على طائفةٍ من المرويات
والأقوال المسطورة في كتب التفسير
والحديث والتاريخ الإسلامي حول قصة
البقرة [الصفراء]. وسنلاحظ عند تتبعها أنها
تنظم ضمن سيناريوهات متقاربة، يدور
محورها الرئيس حول فتى بارّ بأبيه (أو أمه)،
يمتلك بقرة صفراء ذات أوصاف فريدة،
وينتهي به المطاف ببيعها لأهل المقتول بمبلغ
طائل يجعله من أصحاب الثراء العريض.

ولعلّ هذه المرويّات تردّ في أصلها النسيجي إلى مصدر واحد؛ وهو ما حكاه «وهب بن منبه» -صاحب النموذج الثالث الآتي- حيث أخذت عنه وشاعت، ثم رُويت لاحقاً مرسلّة أو مسندةً على لسان البعض. وفيما يلي عرضٌ لهذه النماذج:

(١) ما أورده القمي في تفسيره:

روى علي بن إبراهيم القمي بالإسناد عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال:

(إنّ رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم، فأنعمت له [أي وافقت]،

وخطبها ابنُ عمِّ لذلك الرجل، وكان فاسقاً رديئاً، فلم ينعموا له، فحسد ابن عمه الذي أنعموا له، فقعد له فقتله غيلة، ثم حمله إلى موسى «عليه السلام»، فقال: يا نبيَّ الله، هذا ابن عمي فقد قُتل، فقال موسى «عليه السلام»: مَنْ قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعظم ذلك على موسى، فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبي الله؟

وكان في بني إسرائيل رجلٌ له بقرة، وكان له ابنٌ بار، وكان عند ابنه سلعة، فجاء قوم

يطلبون سلعته، وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه، وكان نائماً، وكره ابنه أن ينبّهه وينغص عليه نومه فانصرف القوم فلم يشتروا سلعته، فلما انتبه أبوه قال له: يا بنيّ، ماذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها، لأنّ المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أنبّهك وأنغص عليك نومك، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه، وأمر موسى بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلما اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجّوا...).

ثم تسترسل الرواية في سرد ما طلبتهم بطلب الصفات إلى أن استقر بهم المطاف على ذبح البقرة الصفراء ذات المواصفات المخصوصة، والتي تبين أنّها:

(بقرة فلان، فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى «عليه السلام» فأخبروه، فقال لهم موسى: لا بدّ لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملء جلدها ذهباً فذبحوها، ثم قالوا: يا نبي الله ما تأمرنا؟ فأوحى الله «تبارك وتعالى» إليه قل لهم: اضربوه ببعضها وقولوا: من قتلك؟

فأخذوا الذَّنْبَ فضربوه به وقالوا: مَنْ قَتَلَكَ يَا فلان؟ فقال: فلان ابن فلان ابن عمي الذي جاء به) [ص ٤١-٤٢].

(٢) ما أورده الراوندي في (قصص الأنبياء):
 روى القطب الراوندي بإسناده عن ابن عباس أنه قال:

(كان في مدينة اثنا عشر سبطاً أمة أبرار، وكان فيهم شيخ له ابنة وله ابن أخ خطبها إليه، فأبى أن يزوّجها فزوّجها من غير. فقعد له في الطريق إلى المسجد فقتله وطرحه على طريق أفضل سبط لهم، ثم غدا يخاصمهم

فيه، فانتهوا إلى موسى «صلوات الله عليه»
فأخبروه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة...).

وتتابع الرواية وصف لجاج بني إسرائيل
ومراجعتهم لنبيهم حتى قال: (فرجعوا إلى
موسى وقالوا: لم نجد هذا النعت إلا عند
غلام من بني إسرائيل، وقد أبي أن يبيعها
إلا بملء مسكها دنانير [والمسك هو الجلد]،
قال: فاشتروها، فابتاعوها فذُبِحت، قال:
فأخذ جذوة من لحمها فضربه فجلس، فقال
موسى: مَنْ قتلَكَ؟ فقال: قتلني ابن أخي الذي
يخاصم في قتل، قال: فقتل. فقالوا: يا رسول

الله إن لهذه البقرة نبأ، فقال «صلوات الله عليه»: وما هو؟ قالوا: إنها كانت لشيخ من بني إسرائيل وله ابن بار به، فاشترى الابن بيعاً، فجاء لينقدهم الثمن فوجد أباه نائماً، فكره أن يوقظه والمفتاح تحت رأسه، فأخذ القوم متاعهم فانطلقوا، فلما استيقظ قال له: يا أبت، إني اشتريت بيعاً كان لي فيه من الفضل كذا وكذا. وإني جئت لأنقدهم الثمن فوجدتك نائماً، وإذا المفتاح تحت رأسك، فكرهت أن أوقظك، وإنّ القوم أخذوا متاعهم ورجعوا، فقال الشيخ: أحسنت يا

بُنَيَّ، فهذه البقرة لك بما صنعت، وكانت بقية كانت لهم، فقال رسول الله: انظروا ماذا صنع به البر) [ج ١، ص ١٦٢].

(٣) رواية وهب بن منبه (كما نقلها الثعلبي): ورد عن وهب بن منبه في هذا الباب مروية تتقاطع مع المضمون السابق مع إغراقٍ في تفاصيل غريبة، نقلها عنه الثعلبي وغيره في تفاسيرهم؛ قال الثعلبي: (قال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان في بني إسرائيل رجلٌ صالح له ابن طفل، وكان له عجل، فأتى بالعجل الى غيضة، وقال: اللَّهُمَّ إِنِّي استودعك

هذه العجلة لابني حتّى يكبر. ومات الرجل
فُسِّيت العجلة في الغيضة، وصارت عواناً،
وكانت تهرب من كل من رامها. فلما كبر
الابن كان باراً بوالده وكان اللّيلة يقسم ثلاثة
أثلاث: يصليّ ثلاثاً وينام ثلاثاً ويجلس عند
رأس أمّه ثلاثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب
على ظهره ويأتي به السّوق فيبيعه بما شاء الله
ثمّ يتصدّق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته
ثلاثاً، وقالت له أمّه يوماً: إنّ أباك ورثك عجلة
وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها الله
«عز وجل»، فانطلق إليها، فادعُ إله ابراهيم

وإسماعيل وإسحاق بأن يردّها عليك، وإن
من علامتها إنك إذا نظرت إليها يخيل إليك
إنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت
تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها.
فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى وقال: أعزم
عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب. فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه،
فقبض على عنقها وقادّها، فتكلّمت البقرة
بإذن الله وقالت: أيّها الفتى البارّ بوالدته،
اركبني، فإنّ ذلك أهون عليك. فقال الفتى،
إنّ أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذها

بعنقها. فقالت البقرة: يَا بني إسرائيل لو
ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً، فانطلق فَإِنَّكَ
لو أَمَرْتَ الْجِبَلَ أَنْ يَنْقَلَعَ مِنْ أَصْلِهِ وَيَنْطَلِقَ
مَعَكَ لَفَعَلَ، لَبَرَّكَ بِوَالِدَتِكَ.

وسار الفتى فاستقبله عدوُّ الله إبليس في
صورة راعٍ فقال: أَيُّهَا الْفَتَى إِنِّي رَجُلٌ مِنْ رِعَاةِ
الْبَقَرِ، اشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي، فَأَخَذْتُ ثَوْرًا مِنْ
ثِيرَانِي، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ زَادِي وَمَتَاعِي حَتَّى إِذَا
بَلَغْتَ شَطْرَ الطَّرِيقِ ذَهَبْتُ لِأَقْضِي حَاجَتِي
فَعَدَا وَسَطَ الْجِبَلِ، وَمَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَخْشَى
عَلَى نَفْسِي الْهَلَاكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْمِلَنِي عَلَى

بقرتك وتنجّني من الموت وأعطيك أجرها
بقرتين مثل بقرتك. فلم يفعل الفتى وقال:
اذهب فتوكّل على الله، فلو علم الله منك
اليقين بلّغك بلا زاد ولا راحلة.

فقال إبليس: فإن شئت فبعنيها بحُكمك،
وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة
مثلها فقال الفتى: إنّ أمّي لم تأمرني بهذا.

فبينا الفتى كذلك، إذ طار طائر من بين
يدي البقرة، ونفرت البقرة هاربة في الفلاة،
وغاب الرّاعي، فدعاها الفتى باسم إله إبراهيم،
فرجعت إليه البقرة، فقالت: أيّها الفتى البارّ

بوالدته، ألم تر إلى الطائر الذي طار؟ إنه إبليس عدوّ الله، اختلّسني. أمّا إنه لو ركّبتني لما قدرت عليّ أبداً. فلما دعوت إله إبراهيم، جاء ملكٌ فانتزعني من يد إبليس وردّني إليك، لبرّك بوالدتك وطاعتك لها.

فجاء بها الفتى إلى أمّه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشقّ عليك الاحتطاب بالنّهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها. قال بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي. وكانت ثمن البقرة في ذلك الوقت.

فانطلق بها الفتى إلى السّوق، فبعث الله ملكاً
 إنساناً خلقه بقُدْرته [أي من غير أب وأم]
 ليُخبر الفتى كيف برّه بوالدته، وكان الله به
 خبيراً، فقال له الملك: بكم تباع هذه البقرة؟
 قال: بثلاثة دنانير. واشترط عليك رضا
 والدتي. فقال الملك: ستّة دنانير ولا تستأمر
 أمّك. فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم
 أخذه إلا برضا أمّي، فردّها إلى أمّه وأخبرها
 بالثّمن فقالت: ارجع فبعها ستّة على رضاي.
 فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق وأتى الملك
 وقال: استأمرت والدتك؟

فقال الفتى: إنّها أمرتني أن لا أنقصها من ستة على أن أستأمرها.

قال الملك: فإنني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها.

فأتى الفتى ورجع إلى أمّه وأخبرها بذلك قالت: إنّ ذلك الرجل الذي يأتيك ويعطيك هو ملك من الملائكة، يأتيك في صورة آدمي ليجرّبك، فإذا أتاك فقل له: أأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ففعل ذلك، فقال له الملك: اذهب إلى أمّك وقل لها بكم هذه البقرة؟ فإنّ موسى بن

عمران يشتريها منكم لقتيلٍ يُقتل من بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلّا بملء مسكها دنانير. فأمسكوا البقرة، وقدّر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وأمرهم بها، فقالوا يستوصفون ويصف لهم حتّى وصف تلك البقرة بعينها موافاة له على برّه بوالدته فضلاً منه ورحمة) [ج ١، ص ٢١٥-٢١٦].

إنّ هذه المحكيّات الغرائبيّة -ومعها ما ورد في التفسير المنسوب للإمام العسكري مما ضربنا عنه صفحاً لطوله وشذوذه- لتتّسم بطابع أسطوري جلي؛ إذ تبتعد بأسلوبها

الدرامي عن النهج القويم لأهل البيت
«عليهم السلام» في البيان والتفسير، وتدنو
في بنيتها القصصية من حكايات (ألف ليلة
وليلة)، لتكون أقرب إلى قصص الأطفال التي
تُروى للسمر، بدلاً من إقحامها في التفسير
الموضوعي لكتاب الله المجيد كما صنع
الثعلبي وغيره من قدماء المفسرين. فكتاب
الله «عز وجل» أرفع شأنًا وأجلّ مقاماً من أن
تخالطه مجازافات الإسرائيليات وأساطيرهم
الواهية. وليس ببعيد أن تكون مروية
وهب بن منبه هي الرِّحْم الذي خُرِّجَتْ منه

هذه الروايات، ثم نُسبت لاحقاً لابن عباس
أو بعض الأئمة الطاهرين، والله أعلم بحقيقة
الحال.

الحقوق محفوظة للمصنف

خاتمة

تأسيساً على ما سلف، تُمثّل هذه الدراسة محاولةً جادةً لإعادة قراءة وتأويل الآيات القرآنية الخاصة بقصة البقرة وجريمة القتل في بني إسرائيل، نائيةً بنفسها عن ركام الروايات التفسيرية الإسرائيلية أو الواهية. وقد سعى البحث لإضاءة الإجابة عن سؤال محوري رئيس: هل ينطوي الموروث التوراتي والكتابي على ذكر لهذه القصة؟ وإن وُجدت، فهل تتسق وتتألف مع السردية القرآنية المحكمة؟ وما هي تفاصيلها، وزمان وقوعها،

ووجه العلاقة بين ذبح البقرة ومعالجة تلك
الجريمة الشنعاء؟

وقد انتهت الدراسة إلى أنّ التشريع أُنزل
ابتداءً في عهد النبي موسى «عليه السلام»،
وهو مسطور بنصّه في التوراة، وقد ألزم به بنو
إسرائيل عقب مماطلة وجدال عقيم. غير أنّ
حادثة القتل المشار إليها في البيان القرآني
إنما وقعت في حقبة تاريخية لاحقة (بعد
وفاة موسى وفي أرض كنعان)، فجاء التطبيق
الشعائري وفق ذلك القانون المبرم.

وبطبيعة الحال، فإنّ لهذه القصة القرآنية

أبعاداً تربوية ودروساً وعظية أخلاقية جليّة
أفاض فيها أرباب السلوك والمربّون، وهو
جانبٌ نيفنا عنه جانباً في هذا المبحث؛ إذ
لم يكن من مستهدفات هذه القراءة التي
آثرت التركيز على التحقيق التاريخي والنصي
المقارن، ويُطلب ذلك من مظانّه المخصّصة.